

الموسيقى وملامح الدرس الصوتي

في رسائل إخوان الصفا

حنان وحدي علوي - المغرب

توطئة :

إن علاقة الصوت بالموسيقى تجاذبها البحث والتعلم منذ القدم ، حتى كانا شديدي الصلة، لا يفصل الواحد منهما عن الآخر، وللعرب في هذا المجال جهود بالغة الأثر في الدراسات الحديثة، حيث ذهبوا إلى تبين هذا التداخل والتكامل بين العلمين، في دراساتهم اللغوية النحوية منها والصرفية و البلاغية النقدية، وكذلك في كتب علوم القرآن والتجويد، وعند من عاجلها من ناحية فلسفية تصوفية، حتى أصبحت القضية الفكرية الجوهرية على امتداد تاريخ الإنسانية، فتشابهت مقاربتها حيناً ، واختلفت أحياناً أخرى ، فجسدت معالم وخصوصيات الحضارة الإنسانية المختلفة، وخاصة الحضارة العربية، مبينة أهمية التحاقن والتكامل بين العلوم. الموسيقى إذن هي الفكر في صورته الأولى الذي عني بدراسة الصوت، فإذا كانت كتب اللغة والنحو والبلاغة والتاريخ والفلسفة قد تحدثت وعرضت لعلم الأصوات نظرياً ، فإن كتب علم الموسيقى كانت بمثابة تطبيق وممارسة لهذا العلم، و كان لإخوان الصفا حظ وافر في الحديث عن الصوت وعلم الموسيقى في رسائلهم، ومقاربتها مقارنة تأملية فلسفية، تجعل منهما صناعة مصدرها الإنسان و تعكس الذوق في الذات الإنسانية. إن المتصفح للموروث الفكري العربي وخاصة كتاب رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، يجد اهتمام هؤلاء بجميع مناحي الحياة والكون والخلق ، بما فيها الصناعات الإنسانية، ومنها الصناعات التي تؤثر على المستمعين بألحانها و أصواتها ونغماتها، والتي تحرك النفوس نحو العمل، ومن ثمة أصبح للصوت مكانة متميزة عند هؤلاء. لذا سنحاول الكشف عن معالم تضيء طريق علماء الأصوات المعاصرين، فمن جهة أولى سيرز هذا البحث إسهام تراثنا في دراسة الصوت اللغوي، ومن جهة ثانية يعمق لشعور التكامل والاستمرارية المطلوبين لتطور المعرفة الإنسانية، خاصة بين علمي الأصوات والموسيقى. إلا أن بلوغ ذلك يقتضي تحقيق هدف عام، لا بد منه وهو: الكشف عن خصوصية الصوت في علم الموسيقى، وهذا الأمر ليس هينا، خصوصا وأنا سنعتمد على المنهج الوصفي، بغية معرفة أوجه التداخل بينهما في هذه

الرسائل، لذلك سنتوسل في بعض الأحيان بالتفسير لتوضيح الأهداف المرجوة من هذا البحث. لا زالت مسألة الموسيقى والصوت، تثير قدرا كبيرا من الانتباه والتحدي، لدى عدد كبير من المهتمين، ولعل عمل إخوان الصفا وخلان الوفا هذا، وفي هذا الموضوع تحديدا ينم عن وعي بأهميته وتقدير لمجال البحث فيه، خصوصا وأنهم تناولوه من زوايا متعددة، فتحدثوا عن أصول صناعة الموسيقى وقوانين الغناء والمحاكاة في علم الموسيقى، وأصول الحروف ومصدر الصوت، كل هذا يبين الإحاطة الواسعة لهؤلاء بالصوت والموسيقى والعلاقة بينهما. في هذه المداخلة ليس هدفنا مناقشة تطور الموسيقى في الفكر العربي عموما، ولا تتبع مفصلاته ومنعطفاته الابستمولوجية، ولا تتبع ما وصل إليه الدرس الصوتي عند العرب، كما لا نريد تقديم دراسة تاريخية حول تطور العلوم. كما أنه ليس من أهدافنا أيضا دراسة علم الموسيقى بشكل عام، وإن تطرقنا إلى بعض ملامحها العامة في ثنايا هذه الدراسة. فما يهمنا هو التعرف عن قرب على منجز إخوان الصفا وخلان الوفا في الموسيقى والدرس الصوتي، باعتباره منجزا يكتسي أهمية لا يمكن إهمالها، فيما يخص البحث في الخلفيات المعرفية للتكامل المعرفي بين علمي الأصوات والموسيقى .

أولا: البحث عن علم الموسيقى في رسائل إخوان الصفا: عندما نكون بصدد الحديث عن الموسيقى علينا أن نسجل في البداية أنها "غذاء للنفس، تبتهج النفس لسماعها وتحن إلى تأليف أوضاعها، وقد نطقت الحكمة بعلو منزلة الموسيقى بين الفنون، وقيل أيضا: من فهم الألحان استغنى عن سائر اللذات. "

لذلك كانت الموسيقى ولازالت أنهارا تروي الأرض والناس، ودماء تدفع الحياة في قلوب البشر، بل إن أفلاطون يعرف الفن الموسيقي بكونه: "أحد المحركات الرئيسية السامية للبشر وهي الصدق والحقيقة التي توجد، منذ بدء الخليقة ومن خلالها عرف العالم النظام، وتحقق له التوازن "

وفي الحضارة القديمة كانت الموسيقى وسيلة رئيسية للعبادة، والربط بين الآلهة والبشر، ونشر التعاليم والقوانين والفضيلة والتربية، وشحن الأحاسيس ودفع للحركة البشرية وتنظيم لها، هذا التصور الذي جاء به إخوان الصفا جاعلين من الموسيقى علما "يحرك النفوس إلى الأعمال الشاقة، والصنائع المتعبة، ومن الألحان والنعيمات ما يسكن سورة الغضب، ويحل الأحقاد ويوقع الصلح" ، خصوصا وأنها تتركب من ألحان تستسيغها الأذن مبنية على موازين موسيقية مختلفة تكسبها طلاوة. "

فكانت وحيا يرتفع بالإنسان، ويجعل منه حكمة وعبقرية ووحدة، وبالتالي نجد أن الموسيقى خدمت الإنسان في تحقيق التوحيد بين البشرية، ومختلف عناصر الحياة في المجتمع الواحد، وبين المجتمعات المختلفة، وتمكنت من التعبير

عن الفرد وعن الجماعة في تنسيق و وحدة.
(1أصول الصناعة الموسيقية:

إن الحديث عن أصل الموسيقى، إشكالية عويصة تواجه الدارس، بل والمهتمين بعلم الموسيقى أنفسهم، فهي أخذت أشكالاً متنوعة ومختلفة وفق السياق الفكري والفلسفي الذي ترد به، لكن على الرغم من ذلك يمكن مناقشة رؤية إخوان الصفا من خلال ربط أصل الموسيقى بأصل الصوت، ذلك أن الحديث عنها حديث عن الصوت، وبالتالي تصبح الموسيقى عند إخوان الصفا "صناعة مركبة من الجسمانية والروحانية، التي هي صناعة التأليف في معرفة النسب"، تؤثر في المستمعين وتحرك النفوس بألحانها أصوات ونغمات نحو العمل. استناداً إلى هذا التعريف، يمكن أن نستنتج أن الموسيقى أولاً صناعة، تفترض صناعاً وبالتالي فهي عمل مكتسب وليس فطري غريزي، ثم إنها تتكون من معطيات ملموسة جسمانية، وأخرى روحانية غير ملموسة. فهي تتعدى التعبير بالجسد إلى الروح لإمتاعها وسد حاجياتها. هذا التصور الروحي والفلسفي للموسيقى يجزنا إلى مسألة مهمة تتعلق بعلمية الموسيقى، ومكانتها بين العلوم. بمعنى آخر نتساءل: هل الموسيقى عند إخوان الصفا هي ميدان عائم في فضاء غير محدد؟ بالنظر إلى تصورهم حول الموسيقى، نرى أنهم جعلوا للموسيقى طرفين مختلفين، طرف جسماني، وطرف روحاني، هذه الرؤية تشبه إلى حد كبير ما يقدمه أهل التصوف عند حديثهم عن الطقوس الدينية التي ترفق بنوع خاص من الموسيقى والألحان. فهي بمثابة الأداة أو الوسيلة التي تنقل مستمعها من الإحساس بجسمه، إلى الإحساس بروحه، ولتفصيل القول في ذلك علينا أن نسجل أن ابن سينا في أثره الخالد "جوامع علم الموسيقى" اعتبر الموسيقى: "علماً رياضياً يبحث فيه عن أحوال النغم من حيث تأتلف وتتنافر، وأحوال الأزمنة المتخللة بينها، ليعلم كيف يؤلف اللحن، وقد دل حد الموسيقى على أنه يشتمل على بحثين، أحدهما البحث عن أحوال النغم أنفسها، وهذا القسم يختص باسم التأليف، والثاني البحث عن أحوال الأزمنة المتخللة بينها، وهذا البحث يختص باسم علم الإيقاع." وبالتالي يصبح علم الموسيقى مادته الأنغام، والأنغام أصوات موسيقية تأتلف فيما بينها بحكم قوانين مضبوطة لتؤلف ألحاناً مؤتلفة، "وهذا هو التلحين الذي يتكلف به علم الموسيقى" فما هو أصل الموسيقى؟ وما تجليات صناعتها وقوانين ذلك؟ أ - الحكماء هم أصل صناعة الموسيقى :

يعتبر إخوان الصفا الموسيقى: تأملاً فلسفياً، ترتبط بالأنغام و اللحن، والكلمة والجملة والمقطع التي تكون غناء، بل إن أصل الموسيقى صوت يجمع بين طرفين محدث و مستمع، فهو "قرع يحدث من الهواء إذا صدمت الأجسام

بعضها بعضا، فتحدث بين ذينك الجسمين حركة عرضية تسمى صوتا. " فأول ما يكون قرع وتصادم بين جسمين أو أكثر، فيخرج الصوت عبر حركات وسكنات تتعاقب فيما بينها لتحدث نغمة ولحنا معيناً، إذا رافقت اللحن كلمات نكون أمام غناء. وبالتالي نجد هذه التراتبية التي تؤدي في النهاية إلى تكوين موسيقى معينة: معينة:

إن الجمع بين الفلسفة والموسيقى، آت من كون الحكماء "يستعملون عند الدعاء والتسبيح والقراءة ألقانا من الموسيقى تسمى المحزن" ، هي التي ترقق القلوب إذا سمعت وتبكي العيون، و تكسب النفوس الندامة على سالف الذنوب، وإلى جانب هذا اللحن الموسيقي تحدث إخوان الصفا عن لحن "المشجع"، الذي تستعمله قادة الجيوش في الحروب والهيجاء، وألقان أخرى تستعمل للتخفيف من الأسقام والأمراض عن المريض، وغيرها من الألقان.* ومن ثمت نجد كل لحن يرتبط بحال نفسية معينة، ومشاعر مخصوصة، أي أن الموسيقى تصدر عن أصوات ذلت نغمات متنوعة، وبفعل الاجتماع البشري والتواصل الإنساني، يستطيع كل فرد في جماعة ما معرفة الأحوال من خلال اللحن الموسيقي، فحسب نظرة إخوان الصفا للموسيقى، فإنها تختلف من مجال إلى آخر، للمجال العسكري ألقانه التي تناسب وظيفته، وللمناسبات السعيدة ألقانها الموسيقية المختلفة. وهكذا تنوع الألقان الموسيقية بين:

وكل هذا راجع إلى كون الفلسفة الوعاء الذي صب فيه الصفائيون كل أفكارهم وآرائهم، في مختلف الفنون ومجالات العلوم، فلسفة متنوعة، كما شرحها الأستاذ الدكتور محمد أديوان في كتابه (الصوت بين النظرين الفلسفي و اللساني عند إخوان الصفا): "إن فلسفتهم هذه تتميز بتنوع مباحثها، ففيها الفلسفة الاجتماعية والأخلاقية والسياسية ..."

فكان استخدام الحكماء للموسيقى حاضرا في طقوسهم الدينية خاصة، وذلك في إطار بناء تصور فلسفي في مجال الدراسة الصوتية، لذلك سنجد إخوان الصفا يربطون بين حدوث الصوت، وعالم الأفلاك والنفوس العليا، هذه الرؤية التي سنبينها في محور قادم، وهي أساس تصورهم الفلسفي، تجاه حدوث الصوت. ب -قوانين -صناعة الغناء والألقان: لكل علم قواعد وضوابط تكسبه العلمية والموضوعية، وتدخله ضمن حقل العلم .

العناصر تتكامل في ما بينها لتنتج إيقاعا معيناً (حركات وسواكن، تجمع على شكل أسباب وأوتاد وفواصل، فتتشكل المفاعيل التي تنظم في مصاريع، لنجد في النهاية إيقاعاً شعرياً، والخليل بن أحمد الفراهيدي رحمه الله، لم يدخر جهداً في بناء علم يهتم بالإيقاع، إنه علم العروض). فلما جاء الإسلام، واستولى العرب على ممالك الدنيا، وحازوا سلطان العجم، وغلبوهم عليه، عرفوا حياة الترف ونضارة العيش، واستحلوا الفراغ، وافترق المغنون من الفرس و العجم فوقعوا إلى الحجاز، وصاروا موالي للعرب، وغنوا جميعاً بالعيدان والطنابر والمعازف (والمزامير)، وسمع العرب تلحينهم الأصوات ولحنوا عليها أشعارهم . حيث كانت العرب تمد أصواتها بالنشيد، وتزين الشعر بالغناء والتلحين، فقال حسان بن ثابت :
تغن في كل شعر أنت قائله***إن الغناء لهذا الشعر مضمار
و من المعلوم أن للإيقاع أثراً عجبياً في النفس البشرية، وكان العربي بطبيعته ميالاً إلى النغم والإيقاع، فشغف بحسن التوزيع، توزيع الأصوات في الكلمات، وتوزيع الكلمات في الجمل وتوزيع الجمل في سياق كلامه، ذلك التوزيع المتقن على فترات زمنية متساوية في أغلب الأحيان، مستجيباً بذلك لكل ما يتحسس في حياته من إيقاعات سببها الانتظام أو التعاقب على فترات زمنية محددة، فضربات القلب تشكل إيقاعاً متعاقباً منتظماً، ووحدات التنفس تتعاقب بانتظام، والليل والنهار يشكلان إيقاعاً ثنائياً، والفصول الأربعة تشكل إيقاعاً رباعياً منتظماً ، وتحسس العربي كل هذا، فنمت عنده الحاسة الإيقاعية، وتولع بها، وأخذ يدرّب الأبناء عليها فقد سئل الخليل بن أحمد الفراهيدي رحمه الله: "هل للعروض أصل عند العرب؟ قال نعم، مررت بالمدينة حاجاً، فرأيت شيخاً يعلم غلامه، يقول له: قل (نعم لا، نعم لا، نعم لا، نعم لا، نعم لا، نعم لا، نعم لا، نعم لا) فقلت ما هذا الذي تقوله للصبي؟ فقال: علم يتوارثونه عن سلفهم يسمونه (التنعيم) لقولهم فيه نعم، قال الخليل فرجعت بعد الحج فأحكمتها."

وفي رواية أخرى وردت هذه الكلمة "التنعيم" بالعين معجمة، أي التنعيم. الشعر إذن إيقاع، والإيقاع تدريب الأبناء على الإحساس بالصوت وتنغيمه. وإذا ما أردنا أن نبحث في المعنى الذي تتجسد فيه الأصوات الموسيقية وجدنا أن الأصوات في الموسيقى تقابل الكلمات في اللغة، وبالتالي فإنها تقابل الكلمات في الفنون التي تعتمد على اللغة في وجودها أساساً وفي وسيلة تعبيرها بوجه عام. والكلمة كما يعرف هي التي تحمل المعنى والفكر، وهي وسيلة تناقله بين البشر، وبالتالي فإن الأصوات/الموسيقى تشارك اللغة في نفس الصفات الفكرية، عن طريق مفرداتها اللغوية أو الصوتية السمعية. "فالجملة في الأدب والشعر تقابلها الجملة الموسيقية المكونة أيضاً من عرض لفكرة تطرح البحث والتنفيذ والتفاعل. "

ثانياً: الحروف والأصوات وآثار المحاكاة الكونية:

هناك علاقة وطيدة بين الإنسان والصوت، كان هذا الصوت لغويًا أم موسيقيًا، فقد حاول الإنسان منذ القدم أن يجسد نفسه من خلال الصوت، فجاء الصوت مضاهياً ومحاكياً للنفس الإنسانية في جميع أحوالها ومشاعرها، "فأصبح الصوت بوابة لاستكناه عالم الإنسان المجهول."

المحاكاة عند إخوان الصفا تتم بين عالمين: العالم الفلكي والكون الإنساني "فالأشخاص الفلكية علل على الأوائل لهذه الأشخاص التي في عالم الكون والفساد، وإن حركاتها علة لحركات هذه وحركات الصبيان في لعبهم فإنهم يحاكون أفعال الآباء والأمهات، وهكذا التلامذة والمتعلمون يحاكون في أفعالهم وصنائعهم أفعال الأستاذين والمعلمين وأحوالهم."

يعتبر إخوان الصفا أصل الحركة هو النفس والصوت ناتج عن حركة النفس أي سريان قواها في الأجسام على حد تعبيرهم، ومن ثمة فهم يتصورون النفس طاقة دافعة تنتج الحركة، وماهية الموسيقى، ودقائقها ترك النفس ومدى إدراكها لخفاياها، فأهل هذا الفن يصرون على أن هناك حاسة سادسة تولد مع الطفل بما يدرك ما في الصورة من جمال، وما في الموسيقى من سحر، كما يتذوق بها ما في الشعر من حسن الخيال وجودة التصوير، وقد تساعد البيئة على نمو هذه الحاسة وإرهاقها، أو قد تعمل على ذبولها وانكماشها. "فالطفل الذي ينشأ وهو أكثر استعداداً لتذوق الموسيقى وفهم جمال الإيقاع فيها، أفضل من طفل آخر لم تتح له الظروف الظرفية نفسها"

ومن النظرات الغربية عندهم اعتبارهم أصوات الأفلاك وحركاتها، علامة قطعية الدلالة على حياتها واستمراريتها ودوران الزمان ومرور الأيام، ف:"الأفلاك دوائر والكواكب والنجوم متحركات، لذلك وجب أن يكون لها أصوات ونغمات"، أي أن في الكون حركات منتظمة لها نغمات متناسبة دلت على أن عالم الأفلاك، لتلك الحركات المنتظمة المتصلة نغمات متناسبة مفرحة لنفوسها، ومشوقة لها إلى ما فوقها، كما يوجد في طباع الصبيان اشتياق إلى أحوال الآباء والأمهات، "وقد قيل إن فيتاغورس الحكيم سمع بصفاء جوهر نفسه وذكاء قلبه نغمات حركات الأفلاك، وأصوات حركات الكواكب، واستخرج بجودة فكره أصوات نغمات الموسيقى، وأوضاع ألحانها المطربة." وهو أول من تكلم في هذا العلم وأخبر عن هذا السر من الحكماء، ثم بعده نيقوماخس و بطليموس وأوقليدس، وغيرهم.

وإذا كانت الموسيقى في حد ذاتها تؤثر في نفس الإنسان فيظهر تأثير الإيقاع على حركاته، وتأثير النغمات على إطلاق خياله، فإن اللغة الغنية بالموسيقى يفوق سحرها وتأثيرها سحر الموسيقى وتأثيرها، لأن اللغة معاني مؤثرة،

فإذا انتظمت بطريقة تنغيمية أو موسيقية صار التأثير مضاعفا لوجود عاملين مؤثرين: المعاني أولا والتنغيم ثانيا، والكلام الذي يتوفر فيه الإيقاع والتنغيم يؤثر في السامع انتباها عجيبا لما فيه من توقع لمقاطع تنسجم مع ما سبق سماعه، فتحفز النفس، وتتهيا لاستقبال المعاني والاستجابة لها أيا كانت تلك المعاني. لتكون هذه بمثابة نظرية كانوا سباقين إليها، ولم تظهر إلا في العصر الحديث، الأمر يتعلق بالفونولوجيا الإيقاعية، التي تربط بين التنغيم والتركيب والمعنى.

وإلى جانب ذلك عقدوا مقارنة بين الأصوات الفلكية والأصوات الإنسانية: الأصوات الفلكية: باعتبارها الأصل: "واعلم أنه لو لم يكن لحركات أشخاص الأفلاك أصوات ونغمات ولا للملائكة كلام ولا تسيح ولا تقديس، فليسوا هم إذا أحياء فهم أموات، لأن الصمت بالموتى أولى، ولربما احتك بعض الأحجار ببعض، فيحدث من بينهما قرع في الهواء ولو كان الفلك ومن فيه بغير كلام ولا صوت ولا نطق، فأهل السماوات هم المستغفرون والمسبحون لمن في الأرض، لا يفترون عن التسيح ولا يستكنون عن التقديس بألحان طيبة ونغمات لذيذة، ألد من نغمات العيدان ونقر الأوتار والطنابير. "

وبالتالي تكون الأصوات الفلكية ناتجة عن عالم الأفلاك والنفوس العليا تعيش في هذه النفوس العليا في أحسن الأحوال والنعم، وتحدث أصوات فلكية متألفة ومرتبة وتامة ومنتظمة، معتبرين أصوات العالم العلوي عبارة عن "نغمات لذيذة وألحان طيبة

الأصوات الإنسانية: (فروع للفلكية): ينتجها عالم الكون والفساد والنفوس الإنسانية الجزئية، تحاول محاكاة أصوات النفوس العليا وتحدث أصواتا إنسانية. "النفوس الجزئية، تحاكي في جميع حركاتها حركات النفوس العلوية. "

بل إن اهتمامهم فيما يخص محاكاة الأطفال لذويهم نظرة مهمة تحتفظ إلى يومنا هذا بمكانتها خصوصا فيما يتعلق بتنشئة الطفل. فالطفل يبدأ أول ما يبدأ بتلفظ الأصوات سرعان ما تصل إلى مرحلة التمايز، لتشكل وحدات أكبر لها دلالات مقصودة، فهو يتدرج في تقليد الكبار واكتساب الأصوات المختلفة من حوله. فأصوات المحاكاة تتمثل في أصوات الطبيعة، حيث يقلد الطفل نباح الكلب أو مواء القط أو صوت السيارة، وهي تصدر بشكل إرادي وتعبير عن متعة التقليد، أما الأصوات المركبية، فهي أصوات ذات مقاطع ودلالات يحاكي بها الطفل المحيطين به عن قصد، حيث يشرف الطفل على إصلاح أي خطأ يصدر عنه ويحاول إخراج حديثه في صورته الصحيحة.

أ - مصدر - الصوت عند إخوان الصفا:

كما سبق وتحدثنا عن أصل الموسيقى عند إخوان الصفا، وجب الحديث عن الصوت بوصفه: "الأعراض الحادثة من الجواهر (الماهيات)، أي أن الصوت بمثابة عرض وأثر يحدث من أصل معين، وهو غالبا الاحتكاك والقرع

والتصادم بين جسمين أو أكثر.

يقولون: "الأعراض الحادثة من الجواهر جنسان، فما علا ولطف قبل: جواهر علوية، وما دنا وكشف قبل جواهر نفسه، وأصوات هي أغراض لا يكون حدوثها إلا عن الجواهر، وحدثها لا يكون إلا من محرك يحركها تارة يطن الصوت ويتصل بمسمع الحاضرين، وتارة يسكنها فيسكن الصوت، ولما كان كذلك وضح البرهان على أن أصل الحركة هو النفس، وأن الصوت منفعل من حركتها وسريان قواها في الأجسام".
 أما قسمة الأصوات فهي تتم من جهتين حسب إخوان الصفا :
 • من جهة الكمية التي هي معرفة الأصوات الحادة والثقيلة، و قدرها من الثقل والخفة. وتنقسم إلى أصوات متصلة وأخرى منفصلة.

• ومن جهة الكيفية التي هي محاكاة للكمية، فالحزن مثلا محاكاة للثقل والبطء والضعف .
 وذلك يتضح من خلال الخطاطة الآتية:
 ب- أصول الحروف وتقنية ترتيبها

الحرف هو ثان في الرتبة عن الصوت، فالخط والكتابة خاصية إنسانية حديثة ينفرد بها الإنسان عن الحيوان، فهي بمثابة الأثر الذي تحدثه الكلمات المسموعة بعد الدلالة اللغوية ليصبح الحرف ظل الصوت.
 يعتبر إخوان الصفا "أصل الحروف الكتابات كلها في أي لغة وضعت هو: الخط المستقيم الذي هو قطر الدائرة،

والخط المقوس الذي هو محيط الدائرة"
 وسائر الحروف مركبة منها، فالحروف العربية:
 بعضها مستقيم كالألف (ا).
 وبعضها مدور كالقاف والميم (ق، م).
 أما البعض الأخر مقوس كالحاء والخاء (ح، خ).

وبذلك يكون عدد حروف العربية ثمانية وعشرون حرفا ، يخرج كل من مخرجه ، ولا يخلط الناطق بعضها ببعض ، وإن تقاربت كميائهما (صفاها) ، فهو لسان صحيح وكلام فصيح من جهة بيان الحروف ووضعها على ما هي في أي كتابة كانت وبأي لغة اتفقت كان الكلام بها ، وأصل الكتابات وأتمها وأحسنها ، ما كانت على نسب متقايمة، ومقادير متجانسة، وتختلف الحروف من حيث مخرجها وصفتها، يقول ابن خلدون في مقدمته: "وذلك أن الأصوات لها كفيات من الهمس والجهر والرخاوة، والشدة والقلقلة والضغط وغير ذلك، فالتناسب فيها هو الذي يوجب لها الحسن."

وإشارة إخوان الصفا إلى الكتابة، في خضم حديثهم عن الصوت والصناعة الموسيقية، دليل على وعيهم بأهمية الخط وفائدة الكتابة بوصفها من بين الصنائع الأكثر إفادة، وفي ذلك يرى ابن خلدون في الكتابة دليلا على التعقل، وانتقالا من الأدلة اللفظية إلى المقيدة بالخط، وذلك في قوله: "إن في الكتابة انتقالا من (صور) الحروف الخطية إلى الكلمات اللفظية في الخيال، ومن الكلمات اللفظية في الخيال إلى المعاني التي في النفس، فهو ينتقل أبدا من دليل إلى دليل، مادام ملتبسا بالكتابة، وتعود النفس ذلك دائما، فيحصل لها ملكة الانتقال من الأدلة إلى المدلولات، وهو معنى النظر العقلي الذي يكتسب به العلوم المجهولة، فتكسب بذلك ملكة من التعقل تكون زيادة عقل.

الخاتمة:

إن هاته الرؤية الاستمولوجية التي تقدمها رسائل إخوان الصفا، حول الموسيقى والصوت اللغوي، قد حققت نجاحا ملحوظا، وانتشارا واسعا في الأوساط العلمية خصوصا الإنسانية منها. وهذا يعود - كما نعتقد - إلى الطابع الفلسفي الذي يغلق هذه الرؤية، وإلى الأسس النظرية المتناسكة التي تنطلق منها الموسيقى، من هنا حق لنا أن نعترف لإخوان الصفا بالصلة الوثيقة التي صنعوها بين علمي الأصوات والموسيقى، ليجعلوا منهما علمين متداخلين، يحتاج كل منهما إلى الآخر، ليخرجوا بتصور فلسفي يجعل من الموسيقى ذلك العلم الذي يمد الجسور بين العالم الأرضي، والعالم الملائكي (عالم الفساد، وعالم الجمال). لتتوصل في النهاية، وبعد هذه الجولة في هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج والنقط المتمثلة في:

- الموسيقى تصدر عن أصوات ذات أنغام متنوعة.
- الصوت يشترك مع الموسيقى باعتباره من الوحدات الجزئية المكونة لها.
- الموسيقى تقوم على النغم والإيقاع، والتوزيع المتقن.

المصادر والمراجع:

1. علم الأصوات وعلم الموسيقى (دراسة صوتية مقارنة) عبد الحميد زاهيد

2. رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، دار صادر، بيروت

3. مقدمة ابن خلدون،

4. عالم المعرفة، عدد 46، (دعوة إلى الموسيقى)، تأليف يوسف السيسى، أكتوبر واحد 80

5. موسيقى الشعر، ابراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثالثة، 79

6. دراسات في علم العروض والقافية، أحمد محمد الشيخ، الطبعة الثالثة، الدار الجماهيرية للنشر والإعلان،

7. الصوت بين النظرين الفلسفي واللساني عند إخوان الصفاء، ص 18.
8. جاء في الموسيقى الكبير للفارابي، ص 1178.
9. محيط الفنون (الموسيقى العربية)، دار المعارف بمصر، القاهرة، بحث بعنوان "الموسيقى العربية من قبل الإسلام حتى سيد درويش) للدكتور محمود أحمد حنفي.
10. عالم المعرفة (أفلاطون)، ص 9.
11. الموسيقى النظرية، ص 12.
12. جوامع علم الموسيقى، ص 9.